دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، ربيع ۱۳۹۷، العدد السابع والثلاثون: صص **۹-۲۰**

ثنائية الموت والحياة فی شعر معد الجبّوری

حسين الياسی*

تاريخ الوصول: ۹۶/۷/۱۱
تاريخ القبول: ۹۶/۱۱/۲۰

الملخّص

معد *الجبّوری* من شعراء جيل الستينيات الذی عاشر الأحداث التی عصفت بالعراق وشرب من الكأس التی شرب منها الشعب حتّی الثمالة، وأرسی جذور المقاومة والتصدی فی نفسية المواطن العراقی بما ينشره من خطاب الإحياء مقابل خطاب الموت الذی تنشره السلطة الأمريكية وحاول فی الظروف المتسمة بعنف دكتاتورية *صدام حسين* للحفاظ علی تلاوين الحياة ولخلق التشبث بها عند المواطن العراقی الذی كان يعانی من عنف الدكتاتورية. يحاول هذا البحث عبر قراءة استكشافية معتمداً علی المنهج الوصفی-التحليلی أن يقارب الفكرة المسيطرة والمتكررة علی خطاب معد *الجبوری*، ألا وهی فكرة الموت والحياة. ومن النتائج التی توصل إليها البحث هو أنّ معد الجبوری يكرّس بتوظيف الرموز الطبيعية والإكثار منها و الإشارات الحضارية الموت الذی أحدق حياة الإنسان العراقی وأحلامه بتجسيد إضطهاده وما تمارس بحقّه الدكتاتورية والسلطة الأمريكية كما تكرّس فكرة الحياة وما يلفت الإنتباه هو هيمنة مسحة التفاؤل والأمل بالحياة والعودة إلی التفتح والزهو علی الموت والإضمحلال فنری الشاعر يتشبّث بالحياة قابضاً علی جمر الأمل والتفاؤل ذلک لأنَّ الأمل يزيل الغياب وهو الذی بإمكانه أن يخفّف من الهمّ المتجذر فی ذاكرة الوطن العربی ومن ثقل الزمان والمكان علی كاهل إنسانه ويحقق الحضور وتحقيق الحضور فی شعر معد *الجبوری* يأتی بفعل الموت والشهادة والموت فی سبيل الأرض عند الشاعر هو الموت البطولی الذی يحقق الحضور للأرض وإنسانها.

الكلمات الدليلية: الشعر العراقی المعاصر، السلطة الدكتاتورية، السلطة الأمريكية.

* الدكتوراه فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران. hsn_elyasi@ut.ac.ir

المقدمة

معد الجبورى من شعراء جيل الستينيات حسب الأجيال الشعرية، ««جيل الموجة الصاخبة» حسب ما قاله الناقد العراقى الكبير سامى مهدى»(البستانى، ٢٠١٥م: www.dijila.com). والشعر عند شعراء هذا الجيل الثورى واقعى موضوعى رافض وله علاقة الصدام مع الواقع المعيش وكان الشاعر الستينى الصاخب منهمكاً بالواقع المعيش ومشتبكاً مع ما يجرى فيه فى مسعى لزلزلة الواقع وإقامة حياة إنسانية تكسوها العقلانية. وأهم ما إتّسم به الشعر عند شعراء جيل الموجة الصاخبة هو الرؤية المستشرفية التى ترتبط بقناعة الشاعر بتجاوز مرحلته الزمنية التى يعيش فيها من دون أن يحدث الركون للضعف والاستسلام وانفلات الأمل والتفاؤل فى شعر شعراء هذا الجيل وهذا هو الذى دفع الناقد العراقى إلى أن يطلق على شعراء هذا الجيل تسمية الموجة الصاخبة.

معد الجبورى شاعر عراقى مرهف الشعور وله الموهبة الشعرية الفذة التى جعلتها من أبرز الشعراء العراقيين المعاصرين فى مستوى التجريب الشعرى فى الحركة الشعرية المعاصرة وفى الوقت نفسه من أبرز رواد المسرحية الشعرية فى العراق. شاعر ومثقف مخلص لشعبه وأمته العربية وكتب عن محنة شعبه وأمته التى لا تزال تعانى من ويلات الحرب والأطماع الخارجية الإستعمارية. فقد واكب أحداث شعبه وأمته من حزيران حتى اليوم وإكتوت بنارها واختار سلاح الشعر انطلاقاً من وعيه الشعرى المتقدم بالوظيفة الشعرية وسيلةً لمواجهة عوامل السلب والانفصال التى تكرّس اغتراب الإنسان العربى. كان شعر *معد الجبورى* شديد التأثر بعنف السياق الخارجى الذى أحاط به وله ارتباطه الوثيق بما يجرى فى الشارع العراقى والعربى وهذا الإرتباط هو الذى أثقل كاهل شعر *معد الجبورى* كما له إرتباطه الخاص بوجدان القارئ والمتلقى وهو الوحيد من بين الشعراء العرب المعاصرين الذين يدافعون عن حقوق المرأة المسلوبة فى المجتمعات الذكورية العشائرية التى تسلب المرأة إنتمائها الإجتماعى وللمرأة حضورها البارز فى طيات شعر *معد الجبورى* فهى المخلّصة للأرض وللإنسان معاً وكثيرا ما نرى فى شعر *معد الجبورى* التواشج بين صورة الأرض وصورة المرأة وذلک للتماهى بينهما فى العطاء والخصب والنماء وهذا ما اتسمت به المرأة وعلّ الدفاع عن المرأة وحضورها فى شعر *معد الجبورى* أو من

الأفضل أن نقول إنّ الموقف الإيجابى للشاعر من المـرأة وقضـيتها يـأتى نتيجـة معايشـة الشاعر لبعض رائدات الحركات النسوية التحررية *كبشرى حمدى البستانى وآمال الزهاوى*.

فكرة الموت والحياة هى الفكرة المسيطرة على شعر *معد الجبورى*. فقد جسّـد الشـاعر الواقع المعيش بما يحتويه من الإشكاليات وجسّد الواقع العراقى المتـردى وعكـس شـعره عذابات الانسان العربى المعاصـر تحـت عنـف افرزتـه الحضـارة اللانسـانية علـى الانسـان المعاصر. شعر *معد الجبورى* إلى جانب رسم فضاءات الغياب والموت التى أحاطت الإنسـان العربى والعراقى يرسم عالم انسانى يتمتع بكثيـر مـن العقلانيـة والاخلاقيـة علـى أسـاس الوعى الممكن الذى يرتبط بتجاوز الواقع المعيش. تجاوز الواقع المعيش المنسـحق بفعـل السلطة الأمريكية والدكتاتورية يتحقق بالرفض عند *معـد الجبـورى* وإذا كـان *أمـل دنقـل* أيقونة الرفض من بين شعراء جيل الخمسينيات فنستطيع القول إنّ *معد الجبورى* أيقونـة الرفض بين شعراء جيل الستينيات. ما يطالعنا فى خطابات *معد الجبورى* هى الإكثـار مـن الإشارات التى تبعث على الأمل والتفاؤل فى نفسية المتلقى وذلـك لأن الأمـل هـو الـذى يحقق الحضور ويجعل الإنسان متشبّثاً بالحياة والبقاء وسط تلافيف المـوت التـى أحاطتـه وهذا هو سر كثرة تكريس إشارات الأمل والتفاؤل فـى خطابـات *معـد الجبـورى* الشـعرية حيث يسعى الشاعر بترسيخ الأمل والتفاؤل فى نفسية الشعب أن يؤجج نار المقاومة عنـد الشعب العراقى وترسيخ الأمل والتفاؤل وهو يأتى فى إطار الرؤية المستشرفية، ينحدر فـى شعر *معد الجبورى* عن الفهم الواعى للشاعر بالشعر ووظيفته فالشعر الحقيقى يتطلب مـن الشاعر أن يواكب تأسيس الوعى بالواقع المعيش عند المتلقى بالرؤية المستقبلية التى هى الوعى الممكن الذى يرتبط بتجاوز المرحلة الزمنية الراهنة وهذا هو ما نراه جليّاً فى شـعر الشاعر الآشورى - من أول قصيدة نشرها فى مجلة الفنون إلى آخر قصيدة نشـرها الشـاعر وهى قصيدة «المخطوطة الموصلية» التى تحتوى على مجموعة مـن الإشـارات الحضـارية والمعرفية جعلته تحت المسميات الكثيرة ومن أبرزهـا الشـاعر الآشـورى ومواكبـة الـوعى الفعلى وهو إدراك الواقع من منظور جدلى بالوعى الممكن وهو الإيمـان بتجـاوز المرحلـة الزمنية المعيشة هى التى تكسب الشاعر الصدقية فى التجريب الشـعرى «فالمبـدع الـذى يمتلك الصدقية عند *عزالدين المناصرة* هو الذى يحلل الواقع من منظور جمالى جـدلى و منظور يعى التحولات الاجتماعيـة ثـم يتجاوزهـا إلـى استشـراف المسـتقبل»(المناصـرة،

٢٠١٥م: ۴۸). وفی ضوء هذه الحقيقة التی آمن بها معد *الجبوری* يكرّس دوما فی شعره من الإشارات التی تبعث على الأمل والتفاؤل ويدعو إلى الرفض والتصدی.

أسئلة البحث

كيف تتجلى فكرة الموت والحياة فی شعر معد *الجبوری*؟

وما هی اللغة التی وظّفها الشاعر للتعبير عن فكرة الموت والحياة فی شعره وأی شكل من أشكال التعبير يطغی على التشكيلات الشعرية عند معد *الجبوری*؟

فرضيات البحث

فكرة الموت والحياة هی الفكرة الرئيسية التی تنبنی عليها القصيدة عند معد *الجبوری* والتی تعدّ جوهر الرؤية الشعرية والتجريب الشعری *لمعد الجبوری* وما يطالعنا فی شعر الشاعر هو هيمنة موتيف الحياة على الموت حيث نری الشاعر يكرس الإشارات والرموز التی تعبر عن حتمية الإنتصار على عوامل السلب والإنفصال.

وظّف معد *الجبوری* لغة الرمز فی تشكيلاته الشعرية ولكنه أكثر من الرموز الطبيعية فی شعره لتجسيد فكرة الموت والحياة كما وظف الشاعر من الرموز التاريخية والاسطورية وما يطالعنا فی تشكيلات معد الشعری هو قدرته على دمج الوظيفی بالجمالی فی التشكيل الشعری.

خلفية البحث

شعر معد *الجبوری* شعر ممتاز جمع فيه الشاعر بين الجمالی والشعری والقيمی الوظيفی ورغم أن الشاعر بلغ فيه الذروةَ ابداعاً وتعبيراً إلا أن هذا الشعر لم ينل استحقاقه من البحث والدراسة وظلَّ بعيداً عن الأضواء وما كتب عن هذا الشعر ضئيل جداً. كتبت الشاعرة والناقدة الأكاديمية *بشری حمدی البستانی* بحثا عن شعر معد *الجبوری* سمته «شعر معد الجبوری: عنفوان التجربة وتوهج الصحاری» والبحث يحتوی على ست صفحات وهو متوفر فی موقع الشاعرة www.dijila.com وتطرقت فيها إلى دراسة الجانب الإبداعی فی التعبير وفی مستوی الايقاع والبحث رحلة عابرة فی تجربة الشاعر تتوخی به

الشاعرة أن تقدم بشكل موجزاً أنموذجاً عن شعر الشاعر للباحثين. واختار اخلاص محمود *عبدالله* شعر معد *الجبورى* موضوعاً لأطروحته الدكتوراه بجامعة الموصل ودرس فى رسالته على أساس المنهج السيميائى وظيفة العنوان فى شعر الشاعر والرسالة كانت بإشراف *الدكتور احمد جار الله ياسين* وهى لم تناقش بعد والبحث هذا أول دراسة تتفاعل مع تجربة معد الشعرى لتكشف عن الحضور الجدلى للموت والحياة فى شعر الشاعر وهو من المحاور الرئيسة لشعر الشاعر الذى يستحق البحث والدراسة.

لمحة عن حياة الشاعر

ولد معد *أحمد حمدون الجبورى* عام ١٩٤٦ بمدينة الموصل. نشأ وتربّى على حبِّ العلم وظهرت له الموهبة الشعرية وهو فى الحلقة الأولى من عمره وكان أبوه ملهمه فى الشعر. تخرج فى كلية الشريعة بجامعة بغداد عام ١٩٦٨ ثم عمل مدرساً ثم مديراً للنشاط المدرسى فى تربية محافظة نينوى ويعمل حالياً مديراً للمجمع الإذاعى التلفزيونى فى محافظة نينوى. وكان عضو إتحاد الأدباء فى العراق عام ١٩٧٠ وعضو نقابة الفنانين منذ ١٩٨٠ ومثل العراق فى العديد من مهرجانات الشعر خارج العراق(تونس اليمن، المغرب، بنغلاد، سورية، مصر)(عبدالعزيز سعود البابطين،٢٠٠٢م:٣٦٤).

دواوينه الشعرية

«اعترافات المتهم الغائب» ١٩٧١؛ «للصورة لون آخر» ١٩٧٤؛ «وردة للسفر» ١٩٨٢؛ «هذا رهانى» ١٩٨٦؛ «آخر الشظايا» ١٩٨٨؛ وله العديد من المسرحيات منها «آدابا» ١٩٧٧؛ «شموكين» ١٩٨٠؛ «الشرارة» ١٩٨٦.

وكان له فى هذه الدواوين موقفه الرافض من دكتاتورية *صدام* حسين ومن السلطة الأمريكية واكتوى بنار التهجير إلى الكويت فى زمن *صدام* حسين ومن ثمَّ إلى مصر ولكن ظلَّ فى كل الأحوال مدافعاً عن قضية وطنه ساكناً ومشرداً يزرع الحماس فى نفوس مواطنيه يجسِّرهم لمواجهة دكتاتورية *صدام* حسين الذى كان يمارس التصفيات الدموية بحق الشعب العراقى واشتهر بموقفه الايدئولوجى الرافض من السلطة الأمريكية وكان

يحاول دوماً لإجهاض ما كانت السلطة تنادى بها من أنها تسعى لإقامة الديمقراطية فى العراق بينما لم يحصل فى العراق جراء حضورها إلى القتل والتشريد والاقتلاع والاستلاب.

ثنائية الموت والحياة فى شعر معد الجبورى

جدلية الموت والحياة من أبرز المضامين الشعرية التى سادت معظم أعمال معد *الجبورى* الشعرية وشغلت حيزاً كبيراً من مساحة شعر الشاعر. فقد كرس الشاعر فى شعره الواقع المتأثر بعنف السياق الخارجى وجعل هذا الواقع المنكوب بفعل ممارسات الدكتاتورية والسلطة الأمريكية فى ثنائية مع الحياة التى تكمن عند الشاعر فى الرفض، وأرى أنَّ هذه الثنائية تنطلق من موقف رؤيوى للشاعر ولها دورها فى أدلجة النص الشعرى وما لا مجال للإرتياب فيه هو تكريس فكرة الموت والحياة فى شعر معد *الجبورى* محاولة لإرتياد الحضور والموت فى شعر الشاعر ليس صورة عن الواقع ومأساته بل هو وسيلة تنبثق فى قناعة الشاعر منه الحياة والحياة تولد من رحم الموت(وليد جرادات، ٢٠١٣م: ٧٥٤). قال الشاعر:

كُلّ يوم/ أُغادرُ كهفى/ ألمُّ الطَحالِبَ/ أحتَطِبُ العُرْىَ والجوعَ وحدى/ أعدُّ خطوطَ السنين/ التى يبسَتْ فوقَ جلدى/ أتَلمَّسُ وَقْدَ الرمالِ/ التى غَلغَلتْ فى عظامى/ ثُمَّ أغلقُ أبوابَ مملكتى/ فتَسيلُ دمائى أمامى(الجبورى،٢٠١٢م:٨).

ونرى هنا المواجهة بين الشاعر وبين عوامل السلب والإنفصال. إنّ الطحالب من الأعشاب التى تطأها الأقدام وفى توظيفها رمزاً للسلطة إشارة إلى خواء السلطة الأمريكية والعرى والجوع مظاهر الموت الذى شاع فى العراق، وما يكرسه الشاعر أو ما يدعو إليه هو المقاومة والمواجهة رغم ركام عوامل السلب والانفصال التى تنشر الموت، ما يشير إليه بفعل- أحتطب- وتلمس الرمال وهى رمز العراقة والأصالة هو الدعوة إلى التشبث بالأرض؛ وهذا التشبث هو ما يحقِّق الخلاص للأرض وإنسانها عند الشاعر والدماء إشارة إلى فكرة الموت والشهادة وهى هنا من إرهاصات الخلاص من السطو العدوانى وهو يتحقق بالتشبث بالأرض والمواجهة ومن مظاهر جدلية الحياة مع الموت نلاحظه فى قوله:

حَدَّثَنى/ عن دربٍ تُنْحَرُ فيه العنقاءْ/ عن قافلةٍ تتقاذفُها ريحُ الصحراءْ/ لا أملِكُ أنْ أتَكَوَّرَ كالقُنْفُذ/ أو أصمُتَ كالليلْ/ لا أملِكُ أنْ أفلتَ مِنْ ذاتى/ أنْ أصرخَ/ أنْ أعدو كالسيلْ/ مَنْ

خَبَّأْ فى جُرحِى السكِّينْ/ مَنْ ألبسنى فَرْوَةَ ذِئبٍ/ مَنْ ذوَّبَ فى كأسى/ عَلقمَ آلافِ سنينْ آهٍ/ لو أملِكُ أنْ أعدو/ عُريانَ الوجهِ/ أمرِّغُ خَطوى بالطينْ/ لَخَنَقتُ بِأعماقى مِنْ زَمَنٍ/ زَيفَ القَرنِ العشرينْ(الجبورى،٢٠١٢م: ١٢- ١٤).

يجسِّد الشاعر فى هذه اللوحة من قصيد "الإعتراف" استلاب الحريات وفضاءات الخناق التى أحدقت بالوطن زمن الإحتلال الأمريكى. إن عدم مقدرة الشاعرة على الصمت أو الصراخ وعدم امتلاك الإفلات من الذات اشارات شعرية إلى استلاب الحريات والخناق الذى كان العراق يعيش فيه بفعل السلطة الأمريكية، والسبب فى معاناة الأرض وانسانها هو عند الشاعر الموقف المتخاذل من بعض الدول العربية مما يجرى فى الشارع العراقى من القتل والتدمير واستلاب الحريات. إن تخبئة السكين فى الجرح تعبير شعرى عن خيانة بعض الدول العربى بحق العراق وتواطئه مع الامبرياليّة الأمريكيّة. أردف الشاعر هذه اللوحة بما يكرسه فيه أن ما يحقق الحضور للأنسان العربى رغم الحصار والاستلاب والاقتلاعات هو المواجهة مع عوامل الموت:

هل أنا العاشِق/ المُستَغِيثُ المُشَرَّد/ قد أكونُ الغَريبَ/ الذى أنكَرتْهُ الدروبُ/ القَتيلَ الذى أنْكَرَتهُ القبورْ/ غَيرَ أنِّى/ لَنْ أكونَ المُهاجِرَ/ ما دامَ بينى وبينَ الرياحِ/ اشتِباكٌ(السابق: ١٦٠).

نرى هنا المواجهة بين الشاعر وعوامل الموت التى تشتبك بواقع الأمة. إنَّ الرياح رمز السلطة الأمريكيّة وسرُّ تسويغ استعارة الريح رمزاً للسلطة هو التماهى بينهما فى الخراب والتدمير والريح جاءت بهذه الدلالة فى النص القرآنى وما يكرسه الشاعر فى هذه اللوحة ويؤكِّد عليه بحرف "لن" التى تفيد التأكيد والتأبيد، هو أنَّ المواجهة والاشتباك مع عوامل السلب والانفصال التى تكرس اغتراب الإنسان العربى المعاصر هو ما يقود الانسان العربى المنكوب بفعل الحرب والعدوان إلى شاطىء الأمان، ويحقق له حضوره فى الوطن الأم ويمكِّنه من التشبث بالأرض. وما يحقق الخلاص للوطن ويزيح الحزن عن وجه الانسان العربى هو الشهادة:

أنَّ ساعةَ الخلاصِ/ لا تحلُّ إلاَّ بالدماءِ واللهيبْ/ طلعتُ مِنْ حفلِ مَناحَتى/ فتوَّجتُ احتِجاجى مَلِكاً/ واخترتُ أن أقرأ/ أسفارَ الرمادِ والحريقْ/ وقبلَ أن تعتصِرَ الجمْرَ أصابعى/ تحسَّسْتُ البراعِمَ/ التى تورِقُ فى جُرحى/ والوَشْمَ الذى يُعْشِبُ/ فوقَ جلدىَ المحروقْ/

رأيتُ فی عناقیَ الحمیمِ للتراب/ کیفَ یحفظُ الجائِعُ ماءَ وجهِ/ وکیفَ یلغی الحدَّ/ بینَ الفعلِ والرَّغْبَهْ(السابق: ١٦٥).

یشیر الشاعر إلی الحیاة وامکانیة استمراریة دورة الحیاة عبر تجسید الاحتراق الفینیقی المتمثل فی الحریق والرماد، کما یشیر إلی التوصل إلی الخصب والنماء بتجسید البراعم وهی تورق فی جرح الشاعر وماء الوجه أراد به الشاعر العزة والکرامة والحیاة واستمراریتها والتوصل إلی الخصب والنماء والحفاظ علی العزة والکرامة کلها تحصل بالشهادة والموت فی سبیل الوطن الأم وهذا الموت هو الموت البطولی عند الشاعر.

سالَ دمُ العُشبِ/ علی وجهی/ مُذ هبطتُ للواد/ وناحَ الوردُ/ واسْوَدَّ جبینُ الهلالْ/ النَّایُ فی کفِّی/ عصفورٌ جریحٌ/ وشفاهی حَجَرْ/ وفِضَّة/ الحلم/ تتشظّی/ حَطباً/ والشجرْ/ یقطرُ جمراً/ من سفوح الجِبالْ(السابق: ١٤٨).

یعتمد الشاعر فی هذه اللوحة علی الاستعارة بالکنایة لتجسید المکان وما آل إلیه من الإحباط وتشظی الحیاة وجمودها.

إن الورد یرتبط بالمکان والهلال یرتبط بالزمان وفی استعارة الورد والهلال إشارة إلی الفاعلیة الزمکانیة التی کانت العراق یتمتّع بها، ونواح الورد واسوداد الهلال واللون الاسود یحمل معانی الموت والانطفاء والضیاع، تجسید شعری عن مأساة العراق واطفاء جذوة الحیاة فیه باشتباک عوامل السلب والانفصال بواقعه والعراق رغم ما آل إلیه من الإحباط والتشظی إلا أنَّه یواصل مسیرته الحضاریّة ویتوصل إلی الفاعلیّة فی الحیاة ولکن مرد ذلک فی الرفض والتصدی:

لی ولکُمْ أنْ نعتَنِقَ النارَ/ بِلا کُتُبٍ رسمیَّهْ/ لی ولکم أن نختارَ النارَ/ طریقاً وهویَّهْ/ ولِمَنْ یُؤثِرُ دربـاً آخَـرَ/ أنْ تخلـعَ طاوِلَـةُ المُـؤتمراتِ علیـهِ/ الألقـابَ المُثلـی/ والأوسِـمَةَ الوهمیَّهْ(الجبوری، ٢٠١٢م: ١٦٨).

ولفظة النار تعیدنا رمزیاً إلی قصة ابلیس وتمرده علی إرادة الله والنار هی رمز الرفض والتمرد علی إرادة السلطة، وهوالذی یحقق الخلاص والنار فی هذه اللوحة الماعة إلی الحدث التراثی وقصة *آدم وحواء* واللوحة هذه بتوظیف الحدث التراثی تعیدنا إلی مقولة *أمل دنقل* الشهیرة فی قصیدة «کلمات سبارتاکوس الأخیرة» ومن صور جدلیة الموت والحیاة نجدها فی قوله:

سترى قميصَكَ/ عند مَدخلِ غابَةٍ زرقاء/ تحملُهُ العَذارَى/ يومَ مِنهُ تفوحُ رائحةُ القُرى والنهر/ يومَ يفوحُ من أجسادِهِنَّ الليمُ/ والحلمُ القديمُ/ ويبدأ الرقصُ المِزاجيُّ المُثيرْ(السابق: ٢٤٩).

والقميص يعيدنا إلى قصة *النبى يوسف* فقدكان القميص فى القرآن وسيلة احباط المؤامرة ووسيلة ازالة الحزن عن *يعقوبَ*، والنهر يرتبط بمعانى الحركة والاستمرارية والفاعليّة واللون الأزرق يرتبط بدلالات الحياة والتفاؤل بها، والرقص يرتبط بأجواء الفرح والبهجة والخلاص واستمرارية الحياة وبهجتها كل متأتية بالرفض الذى رمز عنه الشاعر بالنار ومثل الجدلية بين الموت والحياة وانتصار الحياة على الموت نلاحظه فى قوله:

نضبتْ حتى الأباريق/ وغَطّى قلعةَ العشقِ رَمادُ الوقتِ/ والنَّجمُ توارى/ فرمَى العُشَّاقُ/ من آخرِ بُرجٍ/ ما تَبَقّى من أكاليلَ وأقداح/ وحينَ انحدروا/ مِنْ شُرفَةِ الليلِ/ إلى الوديانِ/ ما عادوا مجَاذِيبَ سُكارى/ وعلى آخرِ بُرجٍ/ وقفَ الشَّاعرُ/ يُصغى ويرى/ فى الأفُقِ النّائى/ دِنان/ بَعْدُ لَمْ تسكبْ نبيذَ العشق/ فى الروحِ/ وفى الروحِ صحارى/ شَربَ الشَّاعرُ/ حتى دارتِ الأفلاك/ واخْضلَّتْ أباريقُ الرُّؤى/ حتى رأى بحراً/ مِن الصحراءِ يأتى طافِح/ والكلمات البِيض تَنثالُ عليهِ/ وهىَ أبْكارٌ عَذارَى(السابق: ٤٨).

يشير الشاعر فى هذا المقطع السردى الدرامى إلى امكانية استمرارية دورة الحياة عبر التزام فكرة الحب. والحب عند الشاعر هو القوة المحركة التى تمكن الانسان من مواجهة عوامل السلب والانفصال. إن الشاعر نموذج للانسان العربى الملتزم بوطنه وقضيته وشربه إشارة إلى فكرة الحب والحب هو الذى يتمكن الانسان من زرع اللحظة فى المكان ما يعبِّر به الشاعر بدوران الأفلاك واقبال البحر، وهو يرتبط بمعانى الدالة على الحركة والاستمراريّة والصحراء هى مصدر خيرات العرب الدافقة والتشكيل. هذا يعبر عن استعادة الفاعليّة واستمرارية دورة الحياة فى العراق عند وجود الحبِّ ويرى *معد الجبورى* فى قصيدة «العبور» أنَّ ما يحمل مسؤولية محنة العرب ومعاناته هو العقم الفكرى وتخلف تعيش فيه الأمة:

وقَفنا عرايا/ نَلمُّ ثيابَ الطفولَةِ/ نسألُ عنْ حارَة نستَظِلُّ بِحيطانِها/ نرتمى بينَ أحضانِها مُتعَبينْ/ وقفنا نُخَبِّئُ عوراتِنا/ كانت الريحُ تصفر/ بينَ الخَرائِب/ والشمسُ تسقطُ خلفَ الجِبالِ/ وأجسادُنا ينضَحُ المِلحُ مِنها/ ورائحَة التبغِ والأسبرينْ(السابق: ٤٨).

والعريان والمام ثياب الطفولة ونضوح رائحة التبغ كلها تجسّد العقم الفكرى والتخلف الحضارى الذى تعيش فيه الأمة العربية وهو سبب معاناة الأرض العربية وانطفاء فاعلية الحياة فيها.

إنَّ الريح رمز الحركة والفاعلية واصفراره واللون الأصفر يرتبط بمعانى الموت والضياع وسقوط الشمس وهى واهبة الحياة والنور تجسيد شعرى عن ضياع الحياة فى الوطن العربى. وقولها- نستظل بحيطانها- تعبير عن زيف الحضور عند الانسان العربى:

نرمى جمارَ السُبابِ/ بِوجهِ القبورِ/ سمِعنا هديرَ أسارى/ وهمْ يكسرونَ القيودَ/ رأينا قصوراً زُجاجيَّةً/ تتهاوى/ فتطلع منْ بينِها أذرُعٌ/ تملأ الأرضَ/ تمتدُّ نحوَ السماءْ(السابق: ٥٠).

وامتداد الأزرع نحو السماء بعد أن تملأ الأرض هو تعبير شعرى عن تفتح الحياة ولكن هذا الفتح يكمن عند معد *الجبورى* فى نبذ الزيف والتمويه الذى يشير إليه الشاعر بكسر القيود ونبذ جمار السباب بوجه القبور وقال فى قصيدة «للصورة لون آخر»:

أعترفُ الساعةَ/ أنّى كنتُ بكيتُكَ يا وطنى/ حتى ابيضَّتْ عيناىَ/ فألغيتُ قِراءَةَ كُلِّ مواعيدِ البرقِ بعينيكَ/ وحينَ طلعتَ/ مِنْ حلقاتِ النَّدبِ/ وقفتُ/ وأحصيتُ أمامَكَ سقطات (الجبورى، ٢٠١٢م:١٦١).

يعِّبر الشاعر فى افتتاحية هذه القصيدة عن حزنه الشديد للوطن الأم وما آل إليه من الموت والضياع بتوظيف قناع النبى *يعقوب*، وهو ابيضت عيناه فى هجر *يوسف* والشاعر بالاشارة إلى الحدث التراثى يضفى نوعا من الموضوعية إلى ما يعبِّر عنه وما يرى به الشاعر رغم معاناة الأرض هو حتمية التوصل إلى الخصب والنماء وهو يأتى:

لكنى أُنبِئُكمْ أنى فى تشرينَ/ رأيتُ الدَّمَ يورقُ/ بينَ رمالِ الصحراءْ/ المُتداخلُ فى العظمِ/ يسدُّ طريقَ الرؤيا/ لكنى أُنبئُكمْ أنى فى تشرينَ/ رأيتُ الماءْ/ يتدفقُ بينَ اَكُفِّ الجندِ الممتدينَ/ مِنَ/ الجولانِ/ إلى سيناءْ(السابق: ١۴۴).

وتشرين هو شهر الخصب والنماء والنهر هو رمز الحركة والفاعلية والدم فى هذه اللوحة اشارة إلى فكرة الموت والشهادة، والشهادة هى التى تمكن الأرض من الفاعلية والحركة كما يشير إليه الشاعر فى هذه اللوحة وقال فى قصيدة «وردة الذكرى»:

هذا أنا/ ما زلتُ أحملُ/ صَخرَةَ الألمِ النَّبيلْ/ وأعوذُ بالصبرِ الجميل/ وقَدْ طَفَحَ الحِصارُ/ ونافِثٍ سُمَّ الأفاعى السُّودِ/ فى خُبزى ومائى/ وأعوذُ بِالدَّمِ والغَضَب/ منْ جاحِدينَ وخانِعِينْ/ باعوا ضَمائِرَهُمْ(الجبورى،٢٠١٢م:٤٨٥).

وظف الشاعر فى هذه اللوحة اسطورة سيزيف وهو رمز العذاب الأبدى فى الشعر العربى المعاصر. «لقد ورد فى إحدى الأساطير اليونانية القديمة أنَّ سيزيف حُكم عليه بسبب تمرّده على الآلهة أن يرفع صخرة عظيمة من أسفل الجبل إلى أعلاه إلّا أنه لم يتمكّن من أداء مهمته رغم محاولته وجهده البليغ، ولم يجن فى كلّ مرة سوى الفشل والخيبة»(همّتى وأميرى وصالحى،٢٠١٣م:١٢٩) ومن هنا غدا رمزاً للعذاب الأبدى يوظفونه الشعراء المعاصرون للتعبير عن معاناتهم وعذاباتهم، ونرى فى هذه اللوحة أنَّ *معد الجبورى* وظّف هذه الأسطورة لكنه يوسّع فى دلالاتها الأصلية بإضافته إلى الألم ووصفه بالنبيل، والشاعر بالاشارة إلى المعاناة السيزيفى يدعو الجماعة الى حمل عبء المسؤولية والعمل والمعاناة فى سبيل الوطن ويدعو الى مواجهة الذين يتواطؤوا مع العدو الخارجى.

نتيجة البحث

معد الجبورى من أبرز الشعراء المعاصرين فى الحركة الشعرية العراقية واشتهر بموقفه الرافض من السلطة الحاكمة. الشعر عند *معد الجبورى* هو وسيلته لمواجهة عوامل السلب والانفصال. جدلية العلاقة بين الموت والحياة هو ما يكرسه الشاعرة فى كل مجاميعه الشعرية. رغم ما يجسده الشاعر من فضاءات الموت والضياع فى شعره لكن نراه دوما يقبض على جمر الأمل والتفاؤل ويدعو الى الرفض والتمرد ومواجهة العدوان، ذلك لأن الأمل والتفاؤل هو ما يجعل الإنسان يتطلع الى المستقبل ومن ثم يقدره على مواجهة عوامل السلب والانفصال.

المصادر والمراجع

البستانی، بشری. ٢٠١٥م **وداعاً أیتها الشاعرة العظیمة: www.dijila.com**.

الجبوری، معد. ٢٠١٢م، **الأعمال الشعریة الکاملة**، عمان: دار الفضاءات.

سعود، عبدالعزیز وآخرون. ١٩٩٥م، **معجم البابطین للشعراء العرب المعاصرین**، الطبعة الأولی، الکویت، دار القبس.

المناصرة، عزالدین. ٢٠٠٧م، **جمرة النص الشعری(مقاربات فی الشعر والشعراء الحداثة والفاعلیة)**، الطبعة الأولی، عمان: دار مجدلاوی.

المقالات

ولید جرادات، رائد. ٢٠١٣م، «**جدلیة الموت والحیاة فی شعر محمود درویش**»، دراسات العلوم الانسانیة والاجتماعیة، المجلد ۴۰.

همتی، شهریار وأمیری، جهانگیر وصالحی، پیمان. ٢٠١٣م، «**تأثیر أسطورة سیزیف الیونانیة فی قصیدة «کتیبة» وقصیدة «المنفی» للبیاتی**»، مجلة دراسات فی اللغة العربیة وآدابها، العدد ١٣.

Bibliography

Bustani, Bushra. Goodbye Great poet: www.dijila.com.2015

Jubouri, Murad. Complete poetry works. Amman.

Saud, Abdelaziz and others. Al-Babtain Dictionary of Contemporary Arab Poets, The First Printing, Kuwait, Dar Al-Qubas.1995

Al-Manasrah, Ezzedine, ember of Poetic Text, (Approaches in Poetry and Poets of Modernity and Effectiveness) Amman, Darmadgadlawi, First Edition, 2007

Hemati, Shahriyar, Amiri, Jahangir, Salehi, Peyman, the influence of the Middle Ayatollah Sizif al-Yunjani in the Qesidah of the Qatiba, and the "Al-Manfi" al-Bayati, the journal of the Enlightenment and the Arabic dialects.2013m

Waleedeh Jadats, Ra'ad, Jedili Alamut and Al-Hayyat in the poem of Mahmoud Darwish. Dresat al-ulum al-Sunniyah and Wali'z'yana.Almjdel40.All number 3.2013 m.